اجتهادات
أرأيتَ الدمارَ فى سوسة؟!

من القصائد التى درستُها فى المرحلة الإعدادية، ولا أنساها، قصيدة الشاعر المصرى الذى لم ينل حظه من الشهرة على محمد أحمد (من وحى سوسة)، التى كتب فى مطلعها (أرأيتَ سوسةَ والأصيلُ يلفُها فى حلُةٍ).

قفزت القصيدة وذكرياتها فى ذهنى عندما طالعتُ صورًا وفيديوهات للدمار الذى حل ببلدة سوسة بسبب العاصفة دانيال. جرفت السيول عددًا كبيرًا من المنازل والاستراحات على شاطئ البحر, وجُرف بعضُها بساكنيه. وهى تُعتبر ثانى أكثر البلدات تضررًا بعد درنة. وأسهم انقطاع الاتصالات والكهرباء فى زيادة عدد الضحايا, إذ لم يتيسر لسكان البلدة الناجين الاستغاثة إلا بعد ثلاثة أيام من بدء الكارثة.

كان من الطبيعى أن تتوالى فى ذهنى أبياتُ القصيدة فى مقارنةٍ تلقائية بين الصور الجمالية التى تحفلُ بها،

ومشاهد جثث ملقاة على الشاطئ، وأخرى مدفونة تحت ركام.

ليس أكيدًا أن هذه القصيدة كُتبت من وحى سوسة الليبية. هناك من يرون أنها عن سوسة التونسية. ولكن المعروف عن كاتبها أنه عمل بالتدريس فى بنغازى لثلاثة أعوام فى أوائل خمسينيات القرن الماضى. وتبدو منطقية الرواية القائلة إنه نظم قصيدته البديعة بعد رحلة نظمَّتها مدرسةُ بنغازى الثانوية التى كان يعمل بها إلى سوسة الليبية. والثابت أنه أهداها إلى الشاعر الليبى الكبير أحمد المهدوى عندما نشرها فى صحيفة «البشائر» فى يوليو 1953.

وأيًا يكن الأمر فبين مدن وبلدات ساحل البحر المتوسط الجنوبى أوجه شبه، خاصة فى زمن البراءة الذى عاش فيه، قبل أن تعبث ببعضها أيدى من لا مكان للجمال فى حياتهم، فأشبعوها تشوهًا بدرجاتٍ مختلفة. نقرأ مثلا ما كتبه شاعرنا الجميل عن وقت غروب الشمس فى سوسة: (هنا على شطآن سوسة يالها من جنة سحرية الإغراء/نامت على البحر الجميل كظبيةٍ مذعورةٍ هربت

من الصحراء/عذراءُ فى يوم الزفاف تهيأت للعُرس وانتظرت على استحياء). وذكَّره المشهد بالإسكندرية أيام جمالها فكتب: (أعرفتنى يابحر أنى صاحبُ لك منذ عهود طفولتى البيضاءِ/كم همتُ فى الإسكندرية شاردًا أُفضى إليك بحيرتى وشقائى/وهنا بسوسةٍ قد لقيتُك ثانيًا وكذا الحياةُ تقاربُ وتنائى).